سلامة الصدر غنيمة وأجر

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مُعلّم البشرية رسول الله. وبعد:

فمن المعلوم من الدين ضرورة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول والأخير لتلك الأمة التي أرسله الله تعالى إليها، فهو عليه الصلاة والسلام في أمّته أول المؤمنين، ولن يأتي أحد بعده يستدرك عليه في تعليمه. ولهذا وصف الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه النبي في تعليمه بقوله: "فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ مُعلّمًا قبلَهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تعليمًا منهُ". صحيح مسلم ح٥٣٧.

وما أروع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه وهو يبين مكانته ومسئوليته التعليمية في الأمة حيث قال: "إنما أنا لكم مثل الوالد، أعلمكم". مسند أحمد ح٧٤٠٩.

وما أحسن توظيف وتكليف الله تعالى له للقيام بتلك المهمة التعليمية السامية حين ابتعث الله الرسول، وأوحى إليه أن يعلّم الناس الكتاب، ويبين لهم ما نُزّل إليهم من ربهم، فقال جل جلاله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (الجمعة:٢).

ومما نتعلمه من أخلاقه عليه الصلاة والسلام:

١ـ سلامة الصدور ومضاعفة الأجور

وسلامة الصدر تعني خلو القلب من الغل، والحقد، والحسد، والبغضاء. وهي من أعظم أسباب الفوز بالجنة، وطهارة القلب، وراحة للنفس. وإن من النعيم المعجّل للعبد في هذه الحياة، بل هو جنة الدنيا ولذة العيش: أن يرزق الله العبد نعمة سلامة الصدر على كل من عاش معه أو خالطه، بل على كل أحد؛ فقلبه أبيض من ثوبه، يرى أن لكل مسلم عليه حقًا، وليس له حق على أحد؛ ولذا فحياته طيبة مطمئنة، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه.

ويعرّف رسولنا صلى الله عليه وسلم سلامة الصدر في قوله فيما رواه عنه صاحبه عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان،

Upload by: altawhedmag.com

نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ». سنن ابن ماجه ح٤٢١٦. وسنده صحيح.

جاء في شرح الموسوعة الحديثية: وفي هذا الحديث يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أي الناس أفضل؟"، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "كل مخموم القلب"، أي: سليم القلب نظيفه، وهو من تخميم البيت، أي: كنسه وتنظيفه، والمعنى: أن يكون قلبه نظيفًا خاليًا من سيئ الأخلاق، "صدوق اللسان"، أي: لسانه مبالغ في الصدق، فيحصل بذلك المطابقة بين تحسين اللسان وطهارة القلب، فيخرج عن كونه مرائيًا.

فقال الصحابة رضي الله عنهم: "صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟"، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "هو التقيُّ"، أي: الخائف من الله في سره وعلنه، والمراقب له في كل أعماله، "النقيُّ"، أي: نقيُّ القلب، وظاهرُ الباطن، "لا إثم فيه"، وفي رواية: "لا إثم عليه"، أي: لا يوجد به سوءٌ من الحقد والغل، فإنه محفوظ بحفظ الله وعنايته، وقوله: "ولا بغي" أي: لا ظلم فيه ولا ميل عن الحق، "لا غل" أي: لا حقد، "ولا حسد"، أي: ولا يتمنى زوال نعمة الغير.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم الناس صدرًا، وأوسعهم حلمًا، وأعظمهم خلقًا. ومما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الترغيب في سلامة الصدور: ما جاء بصحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تُفتَحُ أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا".

قال المناوي رحمه الله تعالى: (فيقال اتركوا هذين) أي أخروا مغفرتهما (حتى يفيا) أي يرجعا عمَّا هما عليه من التقاطع والتباغض.

وتعرض الأعمال أيضا ليلة نصف شعبان والقدر فالأول عرض إجمالي باعتبار الأسبوع، والثاني تفصيلي باعتبار العام، وفائدة تكرير العرض: إظهار شرف العاملين في الملكوت وأما عرضها تفصيلًا فترفع الملائكة بالليل مرة وبالنهار أخرى. (التيسير بشرح الجامع الصغير: ١/ ٤٥٠).

وإنما يُحرَم المخاصم والمقاطع من المغفرة الخاصة مع المؤمنين يوم الاثنين والخميس، ويؤاخذان على معصيتهما بالشحناء والتقاطع والتدابر.

وفي شروح الموسوعة الحديثية جاء ما يلي: من أبرز صفات أهل الجنة صفاء قلوبهم، وخلوها من الشحناء والبغضاء؛ فالله تعالى يُزيل من صدور أهل الجنة الأحقاد والبغضاء والكراهية والحسد التي كانت بينهم في الدنيا؛ حتى يكونوا في الجنة إخوانًا متحابين، ومع أن منازلهم فيها متفاوتة، فإنه لا يحسد أحد منهم أحدًا على ارتفاع منزلته عليه.

وفي هذا الحديث يُبيِّنُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن أبواب الجنة -سواءٌ أبوابُ طبقاتها أو غرفها ودرجاتها- تُفتَحُ في الدنيا يوم الاثنين ويوم الخميس؛ وذلك لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على المغفرة؛ ففُتِحَ أبوابها علامةً على كثرة المغفرة والصفح والغفران، وإعطاء الثواب الجزيل، وتسجيل من كتب أنه من أهلها في ذلك اليوم، وفي رواية أخرى لمسلم: «تُعرَضُ أعمالُ الناس في كل جُمعة مرتين؛ يوم الاثنين، ويوم الخميس»، والمعروض عليه هو الله تعالى، فيُغفرُ فيهما لكل عبد لا يُشرك بالله شيئًا، فيغفرُ الله تعالى الذنوب الأخرى، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه المسلم شحناء، وهي عداوة تملأ القلب، وفي رواية: «إلا المهتجرين» من التهاجر، والمراد: المتخاصمين، والخصومة المنهيُّ عنها هي التي تكون لحظ النفس ومعايش الدنيا، وأمَّا إذا كانت للدين - كهجران أهل البدع ونحوهم- فهي ثابتة، ومُجانبتهم أولى، فيُقال للملائكة: «أنظروا»، أي: أمهلوا هذين الرجلين وأخروا مغفرتهما من ذنوبهما حتى يتصالحا، ويزول عنهما الشحناء، فلا يُفيدُ التصالحُ للسُمعة والرياء، والظاهرُ أنَّ مغفرة كل واحد متوقفة على صفائه، وزوال عداوته، سواءٌ صفا صاحبه أم لا، فالله عزَّ وجلَّ يُريدُ من عباده أن تكون قلوبهم مجتمعة غير متفرقة، متحابة غير متباغضة. انتهى.

Upload by: altawhedmag.com

الجنة لأصحاب الصدور السليمة

قال أنس رضي الله عنه: كُنَّا جُلوسًا مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم فَقَالَ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لاَحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنْ. لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مِرَارٍ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ. مسند أحمد ح١٢٦٩٧. واسناده صحيح.

كيف ننجو من ضيق النفوس والصدور؟

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: فالإنسان يطلب الرزق، ويعمل بالأسباب، لكن يحذر أن تشغله عن طاعة الله، وعمَّا أوجب الله عليه؛ ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: انظروا إلى مَن هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم. فالإنسان إذا نظر إلى مَن فوقه في المال والجمال ونحو ذلك قد يتحسَّر، وقد يتألم، لكن ينظر إلى مَن دونه من الفقراء الآخرين الذين هم دونه في المال ونحو ذلك؛ حتى يعرف قدر نعمة الله عليه، هذا في أمور الدنيا والخلق. أما في أمور الآخرة وأمور الطاعات فلينظر إلى مَن فوقه؛ ليتأسَّى بمن فوقه، وليقتدي بالأخيار، كما قال تعالى: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» (الحديد:٢١)، وقال تعالى: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (البقرة:١٤٨)، وقال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» (آل عمران:١٣٣)، وقال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» (الأنبياء:٩٠).

فالإنسان في أمور الدين ينظر إلى مَن فوقه حتى يتأسَّى به، وحتى يعمل كعمله، وفي أمور الدنيا ينظر إلى مَن دونه حتى لا يزدري نعمة الله عليه، وحتى لا يقنط، وحتى لا يرى أنه مظلوم، فإنه إذا رأى مَن دونه عرف قدر نعمة الله عليه، فانظر إلى مَن دونك حتى تعرف قدر نعمة الله عليك، فأنت عندك أسباب: أنت نجَّار، وحداد، وخراز، والآخر ما عنده سبب.

فما أحوجنا إلى صدور سليمة، وقلوب مطمئنة: فالقلوب هي منبع المشاعر، ومصدر العواطف، ومحرك الأخلاق، وموجه التصرفات، فإذا صلحت صلحت كل الأعمال والأخلاق، وإذا فسدت فسدت كل الأعمال والأخلاق؛ كما في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحتْ صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". وفي مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جارُه بوائقَه".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com